

مشكلتي مع البخاري

للدكتور عدنان إبراهيم خطبة

إن الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير له، ولا مثال له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحيينا محمداً عبد الله ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه، ونجيته من عباده، صلى الله تعالى عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته المباركين الميامين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله... أوصيكم ونفسي الخاطئة بتقوى الله العظيم ولزوم طاعته، كما أذكركم وأحذر نفسي من عصيانه ومخالفة أمره لقوله جل من قائل "من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد."

ثم أما بعد أيها الإخوة المسلمون الأحباب.. أيتها الأخوات المسلمات الفاضلات يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: بعد أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم "أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَوْ لَا الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) {النساء: 79: 83: صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلكم من الشاهدين. اللهم اجعلنا من شهداء الحق القانمين بالقسط. آمين اللهم آمين.

إخواني وأخواتي.. "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" {النساء: ٨٢٢}. يقر الحق سبحانه وتعالى لنا في هذه الآية معيار ومسبار ومقياس وقاعدة منهجية في غاية الأهمية والخطر.. هذا المعنى أخذه إمامنا أبو عبد الله الشافعي رحمه الله تعالى فقال فيما أثر واشتهر عنه: "أبى الله تبارك وتعالى أن يتم إلا كتابه، فلا كتاب كله تمام صحيح غير منقوص غير مختلف إلا ما كان من هذا الكتاب العزيز"، وثروى "أبى الله أن يصح إلا كتابه" وهو قريب من قريب.

واسمعوا إلى العجب.. فقد رفع قبل مدة إلى المحكمة مدقق إملاني ومراجع نصوص في صحيفة سيارة بجمهورية مصر العربية حفظها الله، رُفِعَ لإحضاره عن جملة أخطاء كثيرة في آيات قرآنية في أحد أعداد تلكم الصحيفة، لم يدقق جيداً، فجاءت الآيات غالطة، وهذا شيء فاحش لا يجوز، رفع فلما صار في مواجهة قاضيه فجأ القاضي وأذهله بقوله مدافعاً عن نفسه باللهجة المصرية "هو ايه أنا غلظت في البخاري؟!!!! أن يغلط في كتاب الله أمر محتمل، لكن لا يغلط في البخاري، وأسقط في يد القاضي، وفي الحقيقة هذا منطق سائد وشائع ولا عجب من مثقف غير متخصص في العلوم الشرعية قضى حياته كلها وهو يسمع ليل نهار إذا سمع البخاري أو كتاب البخاري -رضي الله عن البخاري- سمع إليه ومعه وبسماعه ألفاظ العصمة والقداسة والتمام، وأجمعت الأمة واتفقت الأمة وأطبقت الأمة وأجمع الفقهاء والعلماء، كما يرى أشرس الهجوم وأعنفه وأضراره يشن على كل من سولت له نفسه أو تسول له نفسه أن يشكك في حرف، فضلاً عن أن يشكك في جملة في البخاري، فالبخاري في حمى العصمة، وفي حمى المحفوظية، لا يجوز أن يتطرق إليه أحد بترديد أو ارتياب أو تشكيك لأنه البخاري وكفى. لا نستغرب هذا الدفع أو هذا الدفاع العجيب من هذا الرجل غير المتخصص فهو مثقف عادي.. يعمل مدققاً ومصححاً إملانياً -مراجعاً للنصوص- وليس عالماً في هذه الفنون الشرعية. لا نستغرب وقد رأينا شيخاً فاضلاً في مناظرة متلفزة يقول بملء الفم وبالضرس القاطع: "نعم.. إن البخاري معصوم". شيخ فاضل وأستاذ أكاديمي وفي سن عالية جداً قضى خمسين سنة في التدريس الجامعي في مؤسسة إسلامية عريقة. خمسون سنة أيها الإخوة يدرس العلوم الشرعية يقول بالضرس القاطع وبملء الفم: "نعم.. إن البخاري -يقصد صحيح البخاري طبعاً ليس البخاري كشخص، وطبعاً إذا كان البخاري صحيحه معصوماً فهو من باب أولى في هذا العمل العلمي على الأقل معصوم لأن عصمة العمل ليست مطلقة إنما بعصمة عامله، بعصمة الذي تيسر له تجميع هذا الكتاب الذي هو بلا شك -نبادر ونسارع إلى القول- أصح الكتب بعد كتاب الله. نؤمن بهذا ولكن كلمة "أصح الكتب بعد كتاب الله" لا تعني أن كل ما فيه صحيح بأي حال من الأحوال كما نرى، هذا شيء وهذا شيء. أصح الكتب وفيه أغلاط يسيرة، نعم مواضع الغلط والانتقاد فيه يسيرة جداً بالنسبة لمواضع الصحة، فجملة ما فيه صحيح، وفيه مواضع يسيرة انتقدت عليه ولا تزال، وهذا شيء طبيعي جداً، ولا أدري ولا أستطيع أن أفهم كيف يصر علماء كثر عبر العصور والقرون على عكس هذا الفهم، وأن كل ما في البخاري صحيح، وأن الخطأ لا يتطرق إليه، على أنه جهد بشري وعمل بشري، يذكر فيقدر ويشكر، نعم.. لكنه عمل بشري. أين هذا الفهم من فهم أبي عبد الله الشافعي؟ أين هذا الفهم من

الميزان القرآني "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" لا باعتبار أصله فقط، بل باعتبار محفوظيته وإلا فالتوراة والإنجيل من عند الله، ووقع فيهما اختلاف كثير لأن الله استحفظ الأحرار والرهبان عليهما، كما استحفظنا على السنة فوقع فيها خلط وخبط كما وقع في التوراة والإنجيل، أما الكتاب الأعز فالله تبارك وتعالى لم يستحفظه أحداً. بعض الناس لا يفكر بشكل منطقي ولا بشكل متين يقول لك: "حتى السنة من عند الله، وما ينطق عن الهوى". هذا خلط في التفكير.. يتضح منه عدم الدقة وعدم الصرامة في الفهم والاستنباط والاستثمار، يجب أن نكون دقيقين، فالتوراة والإنجيل من عند الله لكن لما استحفظ الله الأحرار والرهبان هذين الكتابين الجليلين ضاعا، وضاع كثير من الحق فيهما، واختلط حقهما بباطلهم وباطل أقوامهم. شيء من هذا، وإن كان أيسر منه بمراحل بفضل الله تبارك وتعالى تطرق إلى السنة المجموعة في الصحاح والمسانيد والسنن إلى آخر هذه الكتب الجليلة .

يقول مولانا الشيخ الفاضل في تلخم المناظرة المتلفزة: "البخاري معصوم"، وتقدم بالدليل قال: "وعندي دليل من كتاب الله أن البخاري معصوم".. دليل من كتاب الله أن البخاري معصوم!!!! عجب!!!! ما هذه الطريقة في التفكير؟ قال: قال الله تبارك وتعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً" ما الدليل في هذه الآية؟ كيف استثمرت حكماً بمعصومية صحيح البخاري من هذه الآية الجليلة؟ قال: "لأن الأمة أطبقت.. الأمة أجمعت.. الأمة اتفقت على صحة ما في صحيح البخاري.. على صحة كل ما في البخاري.. إذن من خالف الأمة في هذا الإجماع فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وهو داخل تحت طائلة الوعيد "نوله ما تولى، ونصله جهنم وساءت مصيراً"، وهذه طريقة مضحكة في نظري في الاستنباط، هذا تلاعب في الدين، هذا تحريف وغلط على كلام الله . لا أحب أن أقول غلط على رب العالمين.. لكن غلط على كلام الله، وتجربة للجهال والأغمار وحشو البشر وسقط الناس على أن يتكلموا في كتاب الله بنحو من هذا النحو، فيتسع الفتق على الراتق كما يقال.. لماذا؟

أولاً: تعليق الحكم المشتق مشعر بعلية ما منه الاشتقاق.. هكذا يدرس كل طالب مبتدئ في علم الأصول.. الله يقول "واتبع غير سبيل المؤمنين". إذن المسألة لها علاقة بقضية الإيمان.. طبعاً من يخالف المؤمنين في قضية إيمانهم بلا شك هو من أهل النار والعياذ بالله، وهذا هو الذي شاق رسول الله صلى الله عليه وسلم طبعاً الآية في الكفار والمنافقين والعياذ بالله، وليست في اختلاف الرأي في مسائل فرعية أو غير فرعية أبداً، هذه واحدة.

ثانياً: من قال أن الأمة أجمعت على صحة ما في الصحيح؟ هذا لا يتم ولن يتم ومحال وأن يتم إلا إذا كانت الأمة كل الأمة هي فقط أهل السنة والجماعة.. وهذا غير صحيح، ففي الأمة إخواننا من الشيعة الزيدية، وإخواننا من الشيعة الإمامية، وإخواننا أهل الاعتزال، وإخواننا الإباضية، وغير هؤلاء، وكلهم من أهل التوحيد ومن أهل العصمة، وكل هؤلاء لا يلتزمون القول بصحة كل ما في البخاري بل ينتقدون عليه مئات المواضع ويردونها، فأهل السنة والجماعة فقط هم أكثرية أمة محمد، فالقول أجمعت الأمة لا أقول كذب، لكن واضح أنه غلط صراح مفصوح، لا تقل لي أجمعت الأمة.. لا تقل لي اتفقت الأمة.. سيقولون لا "نريد بالأمة هنا أمة أهل السنة والجماعة.. المقصود أجمع أهل السنة والجماعة". كما يتضح وفقاً لفهم هؤلاء أن الذين أجمعوا ليس كل أهل السنة إنما علماء، والعبرة بإجماع العلماء ولا عبرة بإجماع العامة طبعاً. العامة لا يمكن أن تجمع أصلاً، فإذا قلنا أن إجماع العلماء مستحيل.. كيف تعرف أن العلماء أجمعوا؟ كما قال الإمام أحمد بن حنبل رضوان الله عليه: "من حكى الإجماع فقد كذب.. ما يدرى لعل الناس اختلفوا"، كيف تقول لي أجمعوا؟ لا يكاد يصح إجماع، وهذه مسألة طويلة ومعروفة، وأما الأمثلة التي يأتون بها على أن الإجماع فيها صحيح هو إجماع مستنده النص.. هو ليس إجماعاً، ما عدا ذلك فالمسألة خلافية معروفة جداً.

على كل حال.. إذن إجماع علماء أهل السنة والجماعة على صحة ما في الصحيحين هذا غلط، ولا أقول كاذب أيضاً غلط بلا مثوية، كيف يقال أجمع علماء أهل السنة على صحة كل ما في الصحيحين، وقد انتقد الصحيحان من عشرات العلماء الكبار، وأئمة الحفاظ عبر القرون، وسأوضح هذا بعد قليل حتى لا تكون مجرد دعوى لأن الدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء، أولاً.. إمامنا البخاري رضوان الله عليه تعرض هو ذاته للتجريح فيه في حياته، وبلا شك وبلا تعصب من قرأ سيرة الأئمة الحفاظ والمحدثين لن يرتاب أن هذا الرجل هو مقدمهم رضي الله عنه وأرضاه، وأنه كان أسطورة، آية من آيات الله في الإمامة والحفظ والتدقيق والصلاح والورع بلا شك لكنه بشر ليس معصوماً.. ليس نبياً فلا نقبل من أحد أن يدعي عصمة صحيح البخاري.. هذا كلام فارغ عار عن شبهة دليل، وليس عن دليل بل عن شبهة أدنى دليل وأصغر دليل، هذا هو البخاري نعرف شأنه ونعرف مقامه رضوان الله عليه لكن نعرف أيضاً قواعد لا يمكن أن تخترق.. لا يمكن أن تتجاوز.. أنه بشر من البشر يخطئ ويصيب.. ذكرت لكم أن البخاري عينه -البخاري ذاته- رضوان الله عليه جرح من جماعة من كبار أئمة الحفاظ في عصره، أي أن التجريح لم يصب فقط بعض الأحاديث بل هو نفسه كشخص مجروح.

كانت قصة هذا التجريح لشخص الإمام البخاري مع الإمام الذهلي في القصة المعروفة في خلق القرآن الكريم، وقد ذكرت لكم أن الحق كان مع البخاري وأنهم ظلموه، وهذه هي الحقيقة، والله يحب الحق، الرجل مظلوم رضوان الله عليه.. حقيقة.. ظلم

ظلماً صارخاً.. الرجل كان فحوى كلامه أن لفظه بالقرآن مخلوق.. وهذا طبيعي أن لفظ أي أحد بالقرآن مخلوق.. لا بل جعلت هذه عظمة من العظام ونسبوه إلى أغلظ البدع بسبب هذا القول، وأخرجوه على أن يصرح به، ونصب له فخ، وعلم أنه سيقع فيه، ولكن ألحوا عليه وأخرجوه حتى صرح فأخرجوه من بلده رضوان الله عليه، وطعن في دينه وفي عرضه، والرجل مظلوم، نشهد بالله أنه مظلوم. للأسف الشديد، لكن هذا ظلم العلماء بعضهم البعض، وهذا الإمام الذهلي وابنه عصري البخاري - يساميه في المنزلة فهو ليس عالماً عادياً.. والإمامان الجليلان أبو حاتم الرازي وهو من رتبة البخاري، وأبو ذرعة الرازي من رتبة البخاري كلاهما جرح البخاري وأسقطا اعتباره، ويمكن الرجوع إلى كتاب "الجرح والتعديل" لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي الذي نقل تجريح والده وتجريح أبي ذرعة الرازيين للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رضوان الله على الجميع وغفر الله للجميع.

إذن كيف يقال.. أجمعت الأمة، وهؤلاء ثلة من علماء الأمة.. طائفة جرحوا البخاري عنه. من أين يقال صحيحه كل ما فيه صحيح بإجماع علماء أهل السنة؟ لا أحب أن أقول كذب.. هذا غلط واضح.. إلى متى نغالط في الحقائق؟ لماذا لا تُقال الحقائق للناس؟

وأما الذين انتقدوا أحاديث بين قليل وكثير ومقل ومكثر في صحيح البخاري، وفي صحيح مسلم فهم أكثر كثير عبر الأعصار منهم من وضع وحبر مصنفات مفردة في التنقيد على الصحيح أو الصحيحين. كتب كاملة فقط في النقد على البخاري ومسلم من أئمة الحفاظ الكبار كالإمام أبي الفضل بن عمار الشهيد رحمة الله عليه حيث نجد له كتاباً في هذا الباب، وكالإمام -وهذا أشهرهم والكل يعرف هذا.. طوئيل العلم في الحديث يعرف هذا- الإمام أبو الحسن الدارقطني حافظ الإسلام في وقته صاحب السنن، الشافعي المذهب، له كتاب مشهور جداً ومطبوع وحقق أكثر من مرة اسمه "الإلزامات والتتبع" يلزم الشيوخ على طريقة الحاكم النيسابوري من بعده، يلزمهما إخراج أحاديث على شرطهما ولم يخرجها. هذا لا بأس به.. هذا استدراك، ولكن التتبع أنه يتتبع عليهما أحاديث خرجها على شرط الصحة كما التزم على أنها لم تف بشرطهما. أحاديث مطعونة إما في السند -وأكثر الطعن في الأسانيد- وإما في المتن -وهو قليل جداً-.

وهناك من يشكك في عدد الأحاديث التي انتقدها الدارقطني على الصحيحين. استمعنا إلى شيخ فاضل ذات مرة يقول: "الدارقطني انتقد على الصحيح أو الصحيحين (20) عشرين حديثاً، ولكن حقيقة الأمر أنهما (٢٠٠) منتي حديث. يبدو أن النقطة -الصفرة- سقطت في الذاكرة.. والحقيقة أن أبا الحسن الدارقطني انتقد أكثر من منتي حديث بالمكرر، وبدون المكرر بعد نخلها نجده انتقد مئة وتسعة وتسعين حديثاً بالضبط، يعني منتين إلا واحداً بغير المكرر. نصيب البخاري وحده زهاء التسعين، ونصيب مسلم أكثر من ذلك، واشتركا في جملة أحاديث.

ومن أشهر العلماء والحفاظ الذين تناولوا أحاديث في البخاري بالتنقيد الحافظ بن حجر العسقلاني في مقدمة شرحه الماتع الجامع الحفيل المعروف للخاصة والعامة "فتح الباري.. في شرح صحيح البخاري"، ومقدمة الكتاب هي مجلد ضخ من أكثر الكتب فوائد وعوائد وتسمى "هدي الساري" أجاب فيها عن مئة وعشرة أحاديث فقط، لم يجب عن المئتي الحديث حتى نكون دقيقين، وترك الأحاديث الأخرى مع اعترافه، وهذا هو الأسلوب والمنهج العلمي المحترم. قال الحافظ بن حجر رضوان الله تعالى عليه.. قال معلقاً بعد أن فرغ من الجواب عن المئة والعشرة الأحاديث.. قال: "أجوبة منها كما ترون قوية جداً، وأجوبة منها محتملة". أي أنه قال بتواضع ووعي بحقيقة الأمور وأحجامها أنه يعرف أن الأجوبة التي أتى بها أو نقلها عن غيره بعضها قوي جداً، وبعضها أو اليسير منها محتمل، والجواب عنها فيه اعتساف وتكلف، وأنها جوابات باردة، وليست الجوابات التي أتى بها دائماً قوية، فليس الشأن أن العلماء أجابوا عن هذه التنقيدات، الشأن بماذا أجابوا؟ كيف أجابوا؟ لأنه تقريباً.. لا يوجد حديث انتقد على الصحيحين إلا وقد أجيب عنه، ولكن حجم الجواب وجودة الجواب وصحته وقوته هو المهم.. وليس المهم فقط أننا أجبنا لأن البعض يظن أن القول بـ "أجاب العلماء عن هذا.. يعني أن المسألة قد فرغت بأنهم أجابوا بينما العبرة بماذا أجابوا؟، وهل هذا الجواب فيه مقتعة أو لا؟.

المنهج القرآني والنبوي علمانا ولا يزالان أننا لا ينبغي أن نسلم المقاد دون قناعة حقيقية، دون اطمئنان القلب "ولكن ليطمئن قلبي"، إذا لم يطمئن قلبي كعالم وكباحث وكطالب علم بل وكعامي علي أن أراجع، ويسألوننا ما هو منهجكم في تضعيف أحاديث في الصحيحين؟ نقول لهم منهج عائشة رضوان الله عليها -وسنوضح ذلك بعد قليل-.. منهج رسول الله.. منهج القرآن.. منهج الصحابة.. ما يتعارض بظاهره مع كتاب الله لا بد أن نبحت له عن حل، فإن وجدنا الحل فيها ونعم وإلا رددناه لأنه معارض لكتاب الله، كيف لا أرد نصاً أحادياً رواه رجال عن رجال عن رجال، وإذا علمنا أن أقصر يعني أعلى أسانيد البخاري ثلاثياته، يعني أقل عدد من الرواة بين البخاري وبين رسول الله ثلاثة اسمها ثلاثيات، وهي قليلة في الصحيح جداً، ويسمى السند العالي. فأعلى أسانيد الإمام البخاري ثلاثياته، وأنزلها السند الطويل، وهي أكبر عدد من الرواة تساعيات البخاري، فإذا كانت أعلى أسانيد ثلاثياته وأنزلها تساعياته، فهذا يعني أنه أحياناً يكون بين البخاري وبين رسول الله تسعة أنفار. هذا البخاري متوفى سنة ٢٥٦ هـ رضوان الله عليه، إذن في المتوسط ربما ستة.. ربما خمسة، بعضهم قال المتوسط

خمسـة رجال. الإنسان نفسه بعد حين تختلط عليه الأشياء بهم فيها ويوهل ويغفل أشياء وينسى، فكيف بواحد عن واحد عن واحد، أساسيد أحادية ليست متواترة تخالف كتاب الله. فإذا لم يكن هناك جواب أردّها مباشرة بغض النظر عن وجودها في البخاري أو في مسلم، فهذا لا يعنيني، أو تأتيني بجواب حتى يطمئن قلبي، لأننا لا نريد أن نخاطر بديننا.. علماً بأنه لا يوجد حديث يرد في البخاري ومسلم يسقط به ركن من أركان الإيمان. هذه أيضاً في المنهج.. من الطعون المنهجية لدينا أنه لا يوجد حديث انتقد على البخاري أو مسلم أو على كليهما يسقط به ركن ويذوب به عمود من عمد الإسلام، فكلها مسائل خلافية غير مهمة. ثبتت أو لم تثبت ليست خطيرة لأن الدين تام "اليوم أكملت لكم دينكم". الدين تام.. فلماذا يشككونا في ديننا؟ لماذا هذا التهويل؟ لماذا هذه المغالطات على عباد الله كأن من رد حديثاً أو حديثين أو مئة أو مئتين شكك في الدين. التشكيك في الدين يكون بالتشكيك في أصول الإيمان والاعتقاد وأركان الإسلام.. ليس في أحاديث أحياناً في الفضائل، وأحياناً أحاديث تاريخية، وأشياء ليس لها علاقة بالأصول.. وجميعها لا تشكل مشكلة. هذه ضوابط منهجية يجب أن نكون واعين لها .

ونستدل على منهجنا هذا من صحيح البخاري نفسه. أخرج البخاري في صحيحه في كتاب العلم.. باب "من سمع شيء من العلم - أي فلم يفهمه ولم يعرفه - فراجع فيه حتى يعرفه".. هذا باب وعنوان موح وملهم، وذكر في حديث ابن أبي مليكة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها "أنها كانت إذا سمعت شيئاً فلم تعرفه راجعت فيه حتى تعرفه"، يقول لك هذا الحديث أن عائشة كانت عقلانية.. لا بد أن تفهم.. حتى في كتاب الله.. حتى في سنة رسول الله لا بد أن تفهم.. لا تسلم هكذا.. هكذا ربى رسول الله أصحابه صلى الله على رسول الله ورضي عن أصحابه وأرضاهم، ولم يربهم على التسليم المطلق لكل شيء.. لا بد أن نفهم حتى يتأسس الإيمان على قناعة وعلى طمأنينة، فعائشة رضوان الله عليها كانت تراجع، ولذلك تنمته الحديث - وهذا في البخاري - ("سمعت عليه الصلاة وأفضل السلام أي مرة يقول: "من حوسب عذب.. إذا حاسب الله عبداً فقد قضى بعذابه" اعترضت مباشرة وليس اعتراضاً وإنما هو استفسار بالأحرى، تستفسر تراجع حتى تفهم، قالت: يا رسول الله.. أليس يقول الله تعالى "فسوف يحاسب حساباً يسيراً - تريد وينقلب إلى أهله مسروراً" - وفحوى كلامها أنها تقول الله يقول "إذا حوسب العبد المؤمن سيحاسب حساباً يسيراً وسينقلب إلى أهله مسروراً.. وبالتالي نفهم مباشرة أنه لن يكون هناك عذاب". هذه ضابطة منهجية قابلت ماذا بماذا؟ قابلت الحديث الذي أخذته عن البخاري؟! لا بل تسمعه مشافهة من في رسول الله زوجها.. صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً، تسمعه مباشرة دون واسطة وليس عن طريق صحابي. وهي تعلم.. هكذا علمها الرسول الرد إلى كتاب الله.. وهنا تأتينا المغالطات يقول قائل: "كيف يرد إلى كتاب الله؟ الرد إلى الله ورسوله". لا.. ما لم نفهمه من حديث رسول الله يرد إلى كتاب الله.. هذه ضابطة منهجية صرح بها ابن حجر قال: "وفي الحديث جواز المناظرة أي النقاش والمجادلة العلمية حتى مع رسول الله، وفيه جواز مقابلة السنة بالكتاب". تعرفون معنى المقابلة، إنها تعني المعارضة. شيء يقابل شيئاً أي يعارضه، عارضت أمنا عائشة السنة بالكتاب، وعلمتنا أن نقول لا.. هذا يختلف مع كتاب الله. هذا قول ابن حجر الحافظ العالم الفقيه.. وفيه جواز المناظرة وجواز مقابلة السنة بالكتاب وتجدونه في فتح الباري. طبعاً وقع في قلبها نوع من عدم الوضوح.. من عدم المعرفة.. من عدم الفهم.. كيف؟ يقولون: "يقول عائشة لا تفهم.. طبعاً هنا لم تفهم جيداً ما المقصود. فأجابها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: "ذاك العرض".. أي أن المذكور في سورة الانشقاق ليس الحساب لأن المطلق يحمل على الكامل، وهي قاعدة من قواعد الرسول.. يعني "الحساب الحساب"، إذا قيل الحساب فالمقصود نقاش الحساب. هذا فهم دقيق.. النبي طبعاً لم يكن يذكر رطانتنا هذه.. كلمة المطلق والكامل لا يعرف هذا الشيء بالاصطلاحات لكن يعرف جوهره تماماً. نحن تعلمناه منه ومن أصحابه ومن أزواجه، ثم وضعنا المصطلحات المحدثـة الصناعية. النبي يعلمنا أن المطلق يراد به الكامل. هذه قاعدة لغوية في الأصول. فإذا قلنا الحساب فإنما نعني الحساب على أصوله يعني نقاش الحساب". قال لها ما معناه: "لا.. الذي في سورة الانشقاق ليس الحساب المطلق بل العرض.. ذاك العرض، لكن من نوقش الحساب يهلك". يقول يتحدث عن نقاش الحساب، هذا هو الحساب، فإذا قضى الله أن يحاسب عبده أهلكه فنسأل الله أن لا يحاسبنا، فهمنا الآن كيف، أن يعرضنا عرضاً هو الحساب اليسير لا بأس، فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله، وهذه الدقة في الفهم.

وبيت القصيد أن عائشة راجعت فيما لم يلح ولم يبد ولم يضح وجهه لها رضوان الله عليها. قال ابن حجر: "وقع مثله أو نظيره لحفصة رضي الله عنها بنت الفاروق عمر قدس الله سره، والحديث في مسلم لم يخرجـه الحافظ لكن معروف.. الكل يعرف هذا في مسلم لما قال عليه الصلاة وأفضل السلام مرة لحفصة: "لن يدخل النار أحد من أهل بدر ومن أهل الحديبية" قالت يا رسول الله: (أليس يقول الله تعالى: "وإن منكم إلا واردها.. كان على ربك حتماً مقضياً"، إذن نهجت حفصة ذات المنهج النبوي الذي انتهجته عائشة فقابلت السنة بالكتاب، فأجابها عليه الصلاة وأفضل السلام بقوله تعالى: "ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً". فهمها أن هذا الورود ليس بمعنى السقوط وإنما بمعنى المرور، وبالمرور للمتقين تحدث منجاتهم أو نجاتهم. النبي هو أعرف من عرف الله وأفقه من فقه كلام الله. فإذا كان القول يمكن أن يشتبه على حفصة، أو يشتبه على عائشة، أو يشتبه على أمثالنا من باب أولى، لكن المنهج النبوي يقرر أن من حقنا إذا ارتبنا وإذا لم نفهم أن

نتساءل، كما أن من حقنا -وهو حق مقرر لا يصادر وينبغي أن نصادق عليه- أنه إذا وقع شك شككنا.. شككت أن هذا الحديث من عند رسول الله.. لا.. هناك من يريدون أن يلزمونا، وهذه جهالة غليظة، لا بد أن توصف بهذا الوصف.. أياً كان القائل من قال بأن "من رد حديثاً في البخاري أو مسلم فقد رد على رسول الله رد على السنة".. فهو جاهل جهالة غليظة لأنه جهل معظم من سنذكر بل كل من سنذكر من العلماء الرادين لأحاديث في الصحيحين وغير الصحيحين مما صح، وهم بالعشرات ولا يزالون في كل عصر، بل رد بعضهم على بعض، البخاري رد أحاديث في مسلم، ومسلم رد أحاديث في كتاب شيخه. وبفس هذا المنطق المعوج إذن تقول لي "هؤلاء ردوا على رسول الله".

ولذلك شمس الأئمة السرخسي إمام الأحناف في وقته صاحب "المبسوط" له أصول فقه مشهورة تعرف بأصول السرخسي، نجده قال في أصوله: "وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفيد العلم -يعني نقطع على غيبه- نأخذ منه عقيدة.. نأخذ منه علماً جازماً باعتبار أصله، وإنما منشأ الشبهة النقل. هؤلاء هم العلماء. من يقول يرد على رسول الله نقول لهم: "أنتم لستم هناك.. ليس هذا عشك فادرج.. أنت تتكلم بلغة العامة.. ليس هذا طريقة ولا منهج العلماء المحققين. انظروا المحقق الكبير بسطر واحد حسم النزاع قال: "حديث رسول الله يفيد العلم.. نقطع على غيبه -باعتبار أصله- وإنما منشأ الشبهة النقل". بمعنى أننا لو افترضنا أن أحداً يشافه رسول الله ويتشرف بمواجهته، وسمع منه شيئاً هل يلزمه اعتقاد لازم ما سمع أو مدلول ما سمع؟ طبعاً لو النبي أخبرك عن أي قضية فأنت لا بد أن تعتقد بهذا تماماً كما تعتقد بمدلول آية قرآنية مباشرة. طبعاً إذا كانت الدلالة واضحة نصية. إذا فيها اشتباه هذا شيء آخر.. لماذا؟ لأنه النبي، وهنا لا يصح أن يقول قائل "هذا قول النبي وليس قرآناً". لأن القرآن جاءك عن طريق رسول الله، والنبي لا يتزيد بحرف واحد على رب العالمين، "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين" حاشا لله، ولكن فرق كبير -يقول السرخسي- بين صاحب يشافه الرسول ويسمع من الرسول مباشرة وبين رجل يأتيه الحديث عبر النقل. روى البخاري وروى الطبراني وروى أحمد، هناك فرق كبير فلا تقل لي: "يفيد العلم.. يفيد القطع.. يقطع على غيبه.. النبي قال".. لا يقول هذا عالم. سلوا حافظ الإسلام شيخ الشيوخ ومجدد هذا الدين -على الأقل مجدد علم الحديث- في عصره الحافظ العراقي رحمة الله عليه، شيخ ابن حجر العسقلاني، له ألفية في علم الحديث ذكر فيها أن مقصود العلماء بأن هذا حديث صحيح، وهذا حديث ضعيف إنما هو باعتبار الظاهر، باعتبار ظاهر الأمر بحسب مناقشة الأسانيد والمتون يعني ما يترجح لدينا، فيغلب على الظن أن هذا حديث صحيح أو ضعيف لكن لا القطع في واقع الأمر.. قد يكون ما ظننته أو رجحته ضعيفاً صحيحاً في واقع الأمر، لكن بطريقة النقل تحصل لديك أنه ضعيف، والعكس صحيح.

يقول في ألفيته رحمة الله تعالى عليه:

وفي الصحيح والضعيف قصدوا**** في ظاهر لا القطع والمعتمد

وهنا يعود الضمير في قصدوا على العلماء -علماء الحديث-، العلماء الكبار الحفاظ والمحدثون الأجلاء قصدوا أن هذا صحيح وهذا ضعيف في ظاهر لا القطع والمعتمد.

شارحه الإمام الحافظ السخاوي في "فتح المغيث"، وهي غير شرح الحافظ العراقي على ألفيته المسماة أيضاً "فتح المغيث"، لكن فتح المغيث للسخاوي أوسع، فهو من أوسع كتب الحديث دراية، شرحه فقال: "هذا هو المقصود أنه صحيح بحسب الظاهر، لكن هل هو صحيح في واقع الأمر؟ الله وحده يعلم ذلك، فقد لا يكون النبي قال هذا، ولا خبر له به، لكن بحسب قواعد النقل نحن رجحنا وغلب على ظننا أنه صحيح". وهذا هو الفهم، فلا تقل لي "رد على رسول الله" وتشكك في إيمانه وفي دينه، هذه جهالة غليظة وافتئات.

والإمام أبو علي الغساني الجبائي -جيان بلدة في الأندلس- إمام عظيم من أئمة الحفاظ العظام صاحب الكتاب الضخم "تقييد المهمل". استل من هذا الكتاب، من كتاب "تقييد المهمل" كتابان فيهما تنقيدات الإمام الغساني الجبائي على البخاري وعلى مسلم، كتاب "التنبيه على الأوهام الواقعة في المسند الصحيح للبخاري، و"التنبيه على الأوهام الواقعة في المسند الصحيح لمسلم"، ينتقد فيهما الإمام الغساني الجبائي البخاري ومسلم في أحاديث.

"الفوائد المجموعة المرفوعة في بيان أو تبيان الأحاديث المقطوعة الواقعة في صحيح مسلم".. هذا كتاب آخر.

أما الأئمة الذين تكلموا في تضعيف أحاديث في الصحيحين عبر العصور لعله لا يحصيهم إلا الله منهم البخاري، ومنهم مسلم ومنهم أحمد، ومنهم يحيى بن معين، ومنهم شيخ البخاري علي بن المديني، ومنهم ابن خزيمة، وابن عبد البر، والبيهقي، والحاكم، وابن رجب، وابن تيمية، والذهبي، وابن القيم، وابن حزم رحمة الله عليه الذي قطع بأن في الصحيحين أحاديث موضوعة كما قال الحافظ العراقي قال: "ابن حزم قطع.. جزم وردوا عليه ذلك أن في الصحيحين أحاديث موضوعة".

ممن قطع أيضاً بأن في الصحيحين موضوعات أي أحاديث موضوعة لا تصح البتة آخر حفاظ هذه الأمة الحافظ الكبير الإمام العلم أبو الفيض أحمد بن صديق الغماري رضوان الله تعالى عليه، وهو آخر حفاظ هذه الأمة. كان حافظاً حقيقياً ليس محدثاً بل حافظاً مرعياً. آية من آيات الله. متوفي سنة 1380 هـ قبل زهاء خمسين سنة، وهو أخ وشقيق الحافظ الكبير أيضاً والعلامة

والفقيه الرجل الرباني الحافظ عبد الله بن صديق الغماري المتوفي سنة ١٤١٣ هـ قبل زهاء عشرين سنة. الحافظ الغماري أبو الفيض أحمد رحمة الله عليه - وكان قد قضى شطراً من عمره في مصر، ورأى منه المصاروة العجب العجائب والمئات منهم أخذوا عليه الأسانيد والعلم. - كان آية من آيات الله، ومؤلفاته جزء يسير منها طبع، وأكثرها لا زال في المخطوط، وهي تزيد على المئتين، شيء عجب على أنه مات وهو في زهاء الستين من عمره قدس الله سره الكريم. الحافظ الغماري عنده كتاب اسمه "المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير" قال فيه رحمة الله عليه: "وإن من أحاديثهما - أي الصحيحين - أحاديث موضوعة بالقطع"، قال: "أنا أجزم أنها أحاديث كذب موضوعة"، لا تقول البخاري وضعها حاشاه، شيخ الإسلام لا يفعل هذا، ولا مسلم، لكن وضع من وضعها، وإلا البخاري لا يخاطر أبداً، دينه لا يسمح له بهذا، فضلاً عن سمعته ومثابته العلمية، شيخ الشيوخ رحمة الله تعالى عليه، لكن يقع هذا عمل بشري، فيجزم أبو الفيض البخاري أن فيهما أحاديث موضوعة، ثم يقول: "ولا تنهيب الحكم بذلك، قل فيهما - في الصحاح - أحاديث موضوعة" أي لا تنهيب ولا يمنعك منه قولهم أجمعت الأمة أو اتفقت الأمة على صحة ما فيهما، وعلى أن من أخرجه البخاري ومسلم فقد جاوز القنطرة، قال إنما هي دعوى فارغة، قال هذا كلام فارغ.. هذا ليس كلام علم. دعوى فارغة لا تثبت عند التحقيق والتدقيق.

العجيب أن العلامة ناصر الدين الألباني رحمة الله تعالى عليه في مقدمة "آداب الزفاف" - عودوا إليه - نقل هذه العبارة عن أبي الفيض الغماري، والعبارة خطيرة تحكم بوقوع أحاديث موضوعة في الصحيحين. ماذا قال الألباني؟ لم يثرب على الحافظ، يعرف من هو الحافظ الغماري، وإن خالفه في أشياء في الاعتقاد وفي علم الحديث أيضاً، لكن يعلم مثابته جيداً لأن الألباني علامة في الحديث. قال رحمة الله عليه رحمة واسعة قال: "وهذا الذي قاله لا يمتري فيه طالب علم متمرس في هذا الفن"، أي أن أي عالم متمرس يعلم أن كلام الغماري صحيح، وأن هناك أحاديث موضوعة في الصحيحين. وهو من العجيب أن الألباني يقول هذا.. قال: "لا يمتري فيه"، ثم قال: "وقد كنت ذكرت نحوه في مقدمة تحقيق لشرح الطحاوية". طبعاً الألباني يحصي عليه زهاء ثمانية أحاديث انتقدها في الصحيح، وطبعاً إلى الآن بعض الناس يعظم النكير عليه بسبب هذا. الرجل عنده أدلة ناقشوه.. لا تسبوا ولا تطعنوا ولا تلعنوا.. عالم قضى حياته في خدمة السنة والأحاديث، ليس يتهم الألباني رحمة الله عليه.. أليس كذلك.. عقلانياً وليس معتزلياً وليس وليس، وإنما من أهل السنة والجماعة على طريقة السلف. ثمانية أحاديث انتقدها. ابن باز تكلم في بعض الأحاديث في الصحاح.. الشيخ ابن عثيمين تكلم في حديث عيسى والدجال، حديث الجساسة، طعن فيه من حيث المتن ولم يتناوله من حيث الإسناد. ووضح تماماً أن الحديث ضعيف.

ولا يزال العلماء يفعلون هذا فابن حزم تكلم في بعض الأحاديث، لذلك طبع قبل عقود يسيرة جزء في تنبيه على أحاديث منتقدة في الصحيحين، هذا الجزء ينسب إلى الإمام ابن حزم رحمة الله عليه وإلى الإمام أبي بكر الخطيب البغدادي، لكن فيه عدد يسير بضعة أحاديث فقط، وكل ما فيه تقريباً ذكره الحافظ ابن حجر في شرحه "فتح الباري". وهذا معروف عنهما. ومن أمثلة العلماء الذين انتقدوا أحاديث في الصحيحين الإمام أبو بكر الباقلاني شيخ أهل السنة والجماعة في وقته، وأبو المعالي الجويني إمام الحرمين، وأبو حامد الغزالي، وغير هؤلاء طعنوا في بعض الأحاديث في الصحاح. نعم بل قالوا في بعضها كذب قطعاً وكذبوها تماماً.

الشيخ العلامة الإمام السيوطي رحمة الله عليه رد جملة أحاديث في الصحيحين في أبحاث مختلفة يرد، وفي بعض الأحاديث يذكر عللاً. ذكر تسع علل لحديث ربما ذكرناه اليوم إن شاء الله إذا جاء وقته.

العلامة الكبير محمد زاهد الكوثري حكم بتزييف ورد أربعة عشر حديثاً وقعا في الصحيحين أو أحدهما كلها من أحاديث العقائد، ظاهرها التشبيه والتجسيم والعياذ بالله في حق الباري لا إله إلا هو وردها كلها. الإمام عبد الله بن الصديق الغماري رحمة الله تعالى عليه في كتابه "الفوائد المقصودة بالأحاديث الشاذة المردودة" زيف واستوهم ورد بضعة عشر حديثاً. عشرة في مسلم وأربعة في الصحيحين، وتقريباً كلها من أحاديث العقائد، وأتى بكلام جيد جداً للغاية. في مسلم وفي الصحيحين. قال هذا كله كذب.. أحاديث شاذة مردودة نردها، على أنه حافظ من حفاظ الإسلام وفنه الأصيل هو الحديث. قال: لكن هذا لا يقبل.. هذا فيه تطريق إلى التشبيه والتجسيم في حق الباري لا إله إلا هو. هذا مخالف لما يجب في حقه من التنزيه والتسبيح والتقديس عن هذه المشابهات. كثيرون يفعلون هذا.

الشيخ محمد رشيد رضا رحمة الله تعالى عليه وله اشتغال طويل بعلم الحديث رد أحاديث كثيرة في "تفسير المنار" وفي مجلة "المنار".

الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه "النكت على ابن الصلاح"، له كتاب في مجلدين مفيد جداً "النكت على ابن الصلاح". في مقدمة "ابن الصلاح" في علوم الحديث ذكر رحمة الله تعالى عليه أن الإمام شيخ الإسلام مجتهد الشافعية المطلق - يقال في وقته - أبا الحسن علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي والد التاج عبد الوهاب السبكي صاحب الطبقات وجامع الجوامع والكتب الماتعة المعروفة. الإمام أبو الحسن السبكي في تساولاته لحافظ الإسلام أعظم حفاظ المسلمين في وقته أبي الحجاج المزني وقد كان أعجوبة شيء لا يكاد يصدق في الحفظ والاتقان بشهادة الحافظ أحمد أبي الفيض الغماري آخر الحفاظ، وهو

صاحب "تهذيب الكمال" أوسع كتاب وأتقنه في علم الرجال. لا يستغني عنه عالم ولا طالب علم. على كل حال.. أبو الحسن السبكي تقي الدين يسأل شيخه أبا الحجاج المزّي -وهو شيخ ابن تيمية وشيخ الذهبي أيضاً فكلهم تتلمذوا عليه-، وكان له أيضاً القدح المعلا في الورع والتقوى واللهج بذكر الله رضوان الله عليه المزّي، قال سألته عن الأحاديث المروية في الصحيحين من حديث المدلس إذا عنعن بها، شخص مدلس معروف بالتدليس، والتدليس أخو الكذب كما قال الشافعي، وهنا لم يصرح بالسماح إنما عنعن، مدلس تدليسه واضح هل تحمل روايتهما للبخاري ومسلم بالأحاديث -أحاديث المدلسين- وفيها العنفة على أنها اتصلت عندهما من طرق أخرى؟ فقال: "يقولون هذا"، قال: إنه أكيد البخاري عنده هذا الحديث الذي رواه معنعناً عن مدلس، وهنا وجب التنبيه أن الحديث إذا كان معنعناً عن غير مدلس لا يضر، فالعنفة تضر المدلس، أما الإنسان الذي لا يدلس فلا توجد مشكلة إذا عنعن، لكنه المدلس الذي عُرف بالتدليس، لذلك لزم وألجأت الحاجة إلى جعلهم في طبقات كالتبقيات التي ألفها ابن حجر "طبقات المدلسين". على كل حال.. فهؤلاء المدلسون روى عنهما الشيخان وعنوا ولم يصرحوا بالسماع ولم يبينوا، فهل نقول إن هذه الأحاديث المروية اتصلت عند الشيخين وصرح بها بالسماع من وجوه أخرى؟ قال المزّي: "هكذا يقولون، وما فيه إلا تحسين الظن بهما"، قال من باب تحسين الظن بالبخاري ومسلم، ثم استتلا أبو الحجاج المزّي -وهنا يظهر العلم والإمامة الحقيقية-، ثم قال أبو الحجاج المزّي مستتلياً قال: "والا ففيهما أحاديث من هذا النوع لم تصح وقد صرح بها بالسماع في أي موضع نعرفه. هي أحاديث مدلسة ولا يمكن أن تأتي بطريق لها صرح فيه بالسماع. وكأن المزّي يقول "أنا أعرف هذا.. توجد شبهات على بعض الأحاديث في الصحيحين.. شبهات علمية واضحة جداً". هذا العلم الذي يعرفه أهله وليس من يجعلون البخاري كأنه أصبح قرين كتاب الله تبارك وتعالى. الكتاب المعصوم. هذا كلام غير صحيح. على ذكر السبكي.. ابنه تاج الدين عبد الوهاب السبكي.. صاحب "جمع الجوامع" في آخر كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" وهو من أجمل ما قرأ من كتب الطبقات على الإطلاق، وفوائده لا تحصى ولا تُحصَر تقريباً. عنون لفصل، أي فصل فصلاً عنونه بقوله "بيان الأوهام الواقعة في البخاري". إذن التاج السبكي أيضاً وهو محدث وهو تلميذ الإمام أبيه الشيخ أبي الحسن وتلميذ الإمام الذهبي أعظم الرجال عليه فضلاً في علم الحديث ليس أباه وإنما الذهبي، وهو تلميذ تلميذ الحافظ الذهبي. يفصل فصلاً في آخر الطبقات الكبرى يمثل فيه لأوهام واقعة في الأسانيد وفي المتنون في البخاري.

الحافظ بن الصلاح أبو عمرو الشهرزوري صاحب المقدمة رحمة الله عليه لما قال وانتقد عليهما مواضع يسيرة -أحاديث يسيرة- رد عليه الحافظ العراقي بقوله: ليست باليسيرة بل هي مواضع كثيرة أفردتها في جزئين. يقول لا تقل لي يسيرة.. معروف ابن الصلاح لا يرتقي لرتبة الحافظ العراقي. الحافظ العراقي أعلى كعباً وأرسخ قدماً. يقول لا تقل لي يسيرة ليست يسيرة بل مواضع كثيرة منتقدة على الصحيحين، لكن بعد هذه المقدمة نريد أن نمثل ببعض أو بجملة من هذه المواضع التي انتقدت على الصحيحين أو أحدهما حتى نرى وحتى تخف غلواؤنا في الإنكار على من انتقد شيئاً في البخاري أو مسلم خاصة إذا انتقد بعلم وبوعي وبارادة الخير لهذه الأمة في دينها وفي مصادرها ومرجعياتها.

إذن بعد كل هذا التطواف الذي أرجو ألا يكون مملاً لكن للتحقيق العلمي.. هل يقال كل ما فيهما صحيح بلامثنوية؟ وهل يقال أجمع العلماء من أين ومن أين؟

ومن أمثلة الأحاديث التي كثر التعرض لها بالتنقيد ما ذكره أبو بكر الجصاص العلامة الحنفي الكبير المجتهد صاحب كتاب "أحكام القرآن"، تعرفون حديث "سحر النبي" وهو حديث في الصحيحين يرويه هشام لا غير عن عروة لا غير عن عائشة لا غير، فالحديث فيه تفرد غريب جداً.. حديث من الأفراد، وهذا أمر كما قال العلامة الطاهر بن عاشور في "النظر الفسيح" تتوافر الدواعي على نقله. النبي يُسحر ويمكث شهوراً في بعض الروايات ستة أشهر وفي بعضها وقتها لم يحدد حتى صار يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وفي بعضها أنه أتى أهله والحال أنه لم يكن قد أتاهن. قال الفخر الرازي: "هذا والعياذ بالله أبلغ السحر وأخطره إذا وقع"، يعني أن الإنسان يغلب على تقدير الأمور. هذا حديث في الصحيحين يرويه هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة أن يهودياً من بني زُرَيْق يقال له لبيب بن الأعصم سحر النبي والحديث معروف. ماذا قال العلامة أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي في "أحكام القرآن"؟، قال: "وهذا الحديث من وضع الملحدين". قال وضعه ملاحدة كفار وزنادقة في البخاري ومسلم، وللأسف جازت الحيلة على البخاري ومسلم فصدقا هذا الحديث، هكذا هذا معنى الكلام.. من وضع الملحدين ليشككوا به الحشو الطغام فيخلطوا -أي هؤلاء- بين معجزات الأنبياء وبين سحر السحرة إلى آخر ما قال. عودوا إليه في كتابه "أحكام القرآن" تفسير سورة البقرة قول الله تبارك وتعالى "واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان" له كلام طويل في رد هذا الحديث، وغيره وغيره من المعاصرين أو المحدثين. الشيخ محمد عبده تكلم كلاماً مستجاداً في الحكم على هذا الحديث بالبطالان في تفسير جزء عم له. الشهيد سيد قطب في تفسيره رد هذا الحديث. كثيرون لا يزالون يردون هذا الحديث. والحديث يكفي بظاهره أنه تكذيب لكتاب الله تبارك وتعالى. الله يحكي عن الكفار أنهم قالوا: "إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً"، وأكذبهم الله، بينما الحديث يقول: "ليسوا كاذبين بل صدقوا.. النبي سحر. أعوذ بالله". لذلك قال الجصاص: "الملاحدة وضعوا هذا" تشكيكاً لنا في ديننا في قرآننا. الله يقول كذبوا لم يكن مسحوراً بينما الحديث يقول.. لا سحر.. سحر

سحراً حقيقياً، وزوى وضعف وصار كالفرخ. هكذا في بعض طرقه.. صار النبي كالفرخ.. حاشاه أن يتسلط عليه هذا الزنديق اليهودي الساحر الحقيير.. مستحيل أن يتسلط على رسول الله.. قالوا في البخاري ومسلم.. لا يعني.. هذا تكذيب لكتاب الله تبارك وتعالى.

ومثلاً.. الحديث المخرج في الصحيحين، وهذا الحديث يرويه همام بن منبه أخو وائل بن منبه، وكلاهما كانا يهوديين وأسلما. همام بن منبه يقول هذا ما حدثني به أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "خلق الله آدم على صورته" وهنا علامة استفهام كبيرة.. ما المقصود؟ صورة الله أو صورة آدم؟.. نحن نرجح على صورته أي على صورة آدم. يعني أن آدم لم يترك ولم يتطور في الخلقة، وإلا الشبهة قائمة بما أن همام بن منبه أصله يهودي وأسلم. الشبهة قائمة أنه قد يحتمل أن يراد على صورة الرحمن لأن هذا مذكور في التوراة "نخلق بشراً على صورتنا". هذا الحديث اسمه حديث "الصورة"، وكذا حديث أبي مسعود الأنصاري أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تضربه.. فإن الله خلق آدم على صورته"، وقد صرح في بعض الطرق "على صورة الرحمن"، فهذا من دسيس الإسرائيليات "ليس كمثله شيء" صدق الله العظيم. نحن لسنا على شكل الله.. الله ليس له هذا الشكل.. أعوذ بالله.

ومثل حديث "وإن ربكم ليس بأعور". هذا الكلام مما يرد ولو كان في الصحاح، يعني مثلاً لو كان بعينين.....

أستغفر الله العظيم. شيء فظيع.. هذا من الإسرائيليات. الإسرائيليون أثروا في أحاديثنا وفي عقائدنا.

المهم في الحديث أن آدم طوله ستون ذراعاً، ثم أرسله للملائكة لكي يحييهم فردوا عليه وزادوه وبركاته. الحديث المشهور في الصحيحين، والذي يختمه النبي عليه السلام بالقول "فكل من دخل الجنة على طول آدم" أي يكون على طول آدم ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص يعني يتقاصرون إلى الآن إلى اليوم. هذا حديث في الصحيحين. الحافظ ابن حجر -وهذه من المرات المنذورة والمعدودة في فتح الباري- استشكل شيئاً بخصوص هذا الحديث، أي أن الحديث نفسه أشكل عليه، فكيف؟ قال: هذا الحديث بظاهره يخالف ما عُرف وروي من آثار الأقوام البائدة كمساكن ثمود. وهنا تظهر عقلية ابن حجر العلمية السابقة لعصره، بينما في أيامه لم يوجد علم جيولوجيا ولا غيره من محدثات العلوم، ولكن هكذا بعقل علمي وبمنهج علمي قال: مساكن ثمود موجودة وأبنية لهم في الحجر، قال: واضح من مساكنهم ومن آثارهم أنهم لم يكونوا أعظم منا ولا أطول منا بل مثلنا، مثلما نقول الآن أن المومياءات المصرية في طولنا وأحياناً أقصر قليلاً منا، أي لها نفس الطول، ١٦٠ - ١٧٠ - ١٥٥ سم -وهذا شيء عادي من آلاف السنين-. لا.. بل يزيد ابن حجر فيقول: "الملاحظ من ثمود حتى مساكن ثمود تؤكد أنهم كانوا في مثل قاماتنا على أن المسافة بينهم وبين أبيهم آدم أدنى من المسافة التي بينهم وبيننا"، ثم قال الحافظ ابن حجر "ولم يقع لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال" وأنهى كلامه ومضى. يقول الحديث فيه مشكلة. الحديث في الصحيحين لكن فيه مشكلة.

اسمعوا الآن كيف سأنشك على هذا الحديث من باب آخر بطريقة علمية.. هذا الحديث لو سمعه أي عالم متمرس في علم الأحياء سيرده مباشرة ويقول أنتم قوم تهرفون بما لا تعرفون. تعرفون لماذا؟ سأوضح هذا.. يوجد قانون في علم الأحياء يقول "الزيادة في وزن الجسم الحي المتعضي تتناسب طردياً مع مكعب الزيادة في أبعاده الخطية". طبعاً أبعاده الخطية يتحصل منها الحجم، إذ معروف أن الحجم هو ما تحتله البنية في الفراغ، ولكن الزيادة التي يكتسبها الجسم -تحديداً الهيكل العظمي ومقطع العظم- لمقاومة الثقل والوزن تتناسب مع مربع الزيادة في أبعاده الخطية. بمعنى ولكن واضح.. الآن آدم خلقه الله وطوله ستون ذراعاً، الذراع إما أن تكون ذراعاً شرعياً، وإما أن تكون ذراعاً هاشمية. الذراع الشرعية ٢٤ إصباعاً يعني تساوي ٤٨ سم بما يقارب ٥٠ سم، والذراع الهاشمية ٣٢ إصباعاً تعادل ٦٤ سم بما يقارب ٦٥ سم، ولو حسبناها هكذا في المتوسط كان طول آدم ٣٠ سم ثلاثين متراً في المتوسط بين الذراع الهاشمية والذراع الشرعية. وإذا كان طوله ثلاثين متراً هذا يعني تقريباً أنه أزيد منا بنحو عشرين مرة، فالآن آدم ضوعف حجمه عشرين ضعفاً عنا. هذا بالنسبة للأبعاد الخطية، كم سيتضاعف وزنه والتناسب هنا مع المكعب؟ سنقول ٢٠ × ٢٠ × ٢٠ أي ثمانية آلاف مرة، بينما هيكله العظمي كم سيتضاعف لكي يحتمل هذا الثقل الزائد والتناسب هنا مع المربع؟ سنقول ٢٠ × ٢٠ أي أربع مائة مرة. أربع مائة مرة والوزن ثمانية آلاف مرة حتماً سيقول لك أي عالم في البيولوجي مستحيل أن يخلق هذا الخلق على الكوكب الأرضي لماذا؟ لأنه سينهار مباشرة تحت ثقله ووزنه بالقانون. وللأسف أفلام الخيال العلمي التي نحضرها تشوه هذا القانون العلمي مثل الكنج كونج الذي هو أعظم من الغوريلا مئة مرة. كيف هذا؟ مستحيل. مئة مرة يعني حجمه يزيد عن الغوريلا ١٠٠ × ١٠٠ × ١٠٠ مليون مرة، والهيكل العظمي عنده ١٠٠ × ١٠٠ أي عشرة آلاف، وهذا مستحيل سينهار مباشرة. هذا خيال في علم البيولوجي.

هناك مشكلة طبية أخرى يعرفها دارسو الطب وعلم وظائف الأعضاء الفسيولوجي. ما هي؟ القلب مشكلته أن حجمه أصغر من أن يمد أنسجة الجسم كلها بالدماء حين يضخ. سبحانه الله أصغر، فهو ليس كالكدب أعظم الأعضاء.. عضو صغير نسبياً وإلى حد بعيد، ولكن القلب -وهذه حكمة الله بتقدير الله- يعوض هذا النقص في حجمه بماذا؟ بمطاطية ومرونة الشرايين، ولذلك بهذا الحجم الصغير يمكن أن يمد هذا الجسم، لكن -وهذا هو الشيء الخطير- كل كيلوجرام زائد في الوزن يقتضي أن ينشئ الجسم عدة كيلومترات من الشرايين الجديدة، ومن هنا تكمن خطورة السمنة على صحة الإنسان وعلى قلبه. الأخطر من هذا إذا عدنا

إلى قانون التكعيب وقانون التربيع، وإذا كان آدم أعظم منا بعشرين مرة يكون أثقل منا وزناً بثمانية آلاف مرة. وأن قلبه قد تضاعف أربعمئة مرة فقط أيسطيع أن يغذي وزناً تضاعف ثمانية آلاف مرة؟!!!

طبعاً.. بعض الناس لا يعينهم العلم. يقولون النبي قال هذا، يا أخي الكريم.. يا أخي الحبيب.. من قال لك أن النبي قال هذا؟ النبي حاشاه أن يقول شيئاً كهذا لأننا نؤمن أنه نبي من عند الله، لا يكذب على الله، والله تعالى أوحى إليه، ولا يوحى إليه إلا بما هو حق، يعني محال أن يوحى إليه بشيء ويكون باطلاً. والكلام طويل في هذا الحديث. حديث آخر تتعارض معه الوقائع التاريخية، وقد أخرجه الشيخان. قال عليه الصلاة وأفضل السلام: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله"، والحديث مخرج في الصحيحين. الجزء الأول من النبوة صحيح بلا امتراء لأنه في نهاوند وقعت بلاد فارس في سلطة المسلمين، وبعد نهاوند قُتل يزيد جرد الثالث، وكان آخر كسرى، وصدق رسول الله ولم يأت كسرى بعده، وانتهت أسرة آل ساسان إلى الأبد. ولكن ماذا عن قيصر؟ هلك قيصر المعاصر للنبي وجاء قيصر، وتعرفون كم قيصر جاء بعده تسعة وستون قيصراً في ثمانمائة سنة. إذن هناك نوع من الغلط على رسول الله.. يبدو أن الحديث له أصلاً ولذلك في حديث آخر نجد النبي يقول: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، ولكن الروم ذات القرون"، هذا صحيح كلما هلك قرن أتى قرن، والنبي يمكن أن يقول هذا لأنه صحيح.

أحدهم يقول لي من أين أنطلق؟ أنا أقول لك.. الخطأ من الرواة.. الخطأ والوهم والاشتباه.. لا يمكن أن نتهم رواة الصحيحين بالكذب على رسول الله أبداً.. إنما هناك خطأ، وهناك أوهام الصحابة وقعوا فيها. الصحابة كانوا يهامون ويوهلون ويغفلون ويغفلون كسانر البشر، فمن باب أولى من بعدهم تماماً كالحديث الذي أخرجه أصحابا الصحيحين عن أنس أيضاً أن النبي يقول: "إن عُمر هذا ويشير إلى غلام كان من أتراب أنس بن مالك -يعني ابن عشر سنوات- إن عُمر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة". طبعاً بعض الناس يرد.. ترد بماذا؟ ترد بما لا نعرفه، فوالله الذي لا إله إلا هو من أكثر من ربع قرن قرأناه. أنا ليس هذا منهجي. أنا أقول لك هذا الحديث هكذا النبي لم يقله. فيه غلط.. فيه زيادة.. فيه نقصان. نعم.. للحديث أصل. للحديث أصل.. قد يكون فعلاً -كما في الصحيحين أيضاً- أن النبي قال: "قامت عليكم قيامتكم" قامت ساعتكم.. يتحدث عن ساعة قوم معينين.. عن هلاك جيل وأمة من الناس، هذا جائز. لكن هذا "قامت الساعة" أعلم أنه كذب. النبي لم يقل هذه العبارة، وهذا هو الفرق بين كتاب الله وبين الأحاديث، ولذلك الأحاديث خطيرة. لا يصح أن تأتي على حديث وتأخذه كما هو، أي عليك أن تتعب طويلاً وكثيراً، وتقارن هذا الحديث إن عرضت لك فيه شبهة بطرق أخرى.. بوجوه أخرى.. بروايات أخرى، وتعمل دراسة علمية معقدة.. لكن الغلط نقول عنه غلط.. لا يزال غلط.. هذا غلط.. هذا كذب.. النبي لم يقل هذا. فمن الذي يتحمل التبعة؟ هذا في علم الله تبارك وتعالى. من الذي أخطأ؟ من الذي كذب هنا؟ لا ندري. لكن هنا يوجد كذب على رسول الله.. غلط على رسول الله عليه الصلاة وأفضل السلام.

طيب الحديث المخرج في الصحيحين عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. "قلت يا رسول الله أي المساجد وضع في الأرض أول؟ -يسأل عن أول مسجد أنشئ- قال: المسجد الحرام -طبعاً نعرف من وضعه- وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا"- قلت: ثم أي، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما أي من مدة؟، قال: أربعون سنة". هذا أيضاً به مشكلة.. لماذا؟ لأنه في أحاديث صحيحة أخرى، وهكذا يذكر مؤرخون.. عامة المؤرخون يذكرون أن أول من أنشأ الأقصى -والنبي صرح بهذا- سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا السلام، وكل المؤرخين يعرفون أن المدة الفاصلة بين إبراهيم وإسماعيل وبين سليمان ألف سنة على الأقل وليس أربعين سنة. هنا أيضاً يوجد غلط على رسول الله. طبعاً ستقرأون تكلفات.. موجودة هذه في شرح النووي وفي شرح ابن حجر فحواها أنه إذ ربما ليس هو كذا، وإنما المقصود مكان خطه إسحق بن إبراهيم خطه ليكون متعبداً له، ولم يبنه مسجداً، وجاء سليمان.... ربما ربما هذه ما شاء الله الباب مفتوح. لا لا لا هنا يوجد خطأ على رسول الله حتى لا يأتي مؤرخ يقول لكم الرسول رسولكم..... أستغفر الله. هنا يوجد تعارض مع حقائق تاريخية بالحساب والقلم بين سليمان وبين إبراهيم ألف سنة على الأقل وليس أربعين سنة. هناك خطأ والحديث في الصحيحين.

لدينا أيها الإخوة أيضاً حديث خطير جداً.. هذا في البخاري.. والبخاري رحمة الله عليه أتبعه وعقبه بأحاديث يفهم منها أن هذا الحديث وقع فيه غلط لكن لأمانته العلمية يقول أنا أرويه كما هو والعهد على من فهم. لكن الحديث فيه غلط. الحديث قطعاً فيه كذب على الله ورسوله. والحديث هو حديث "اختصام الجنة والنار، وأن الجنة أوثرت بالضعفاء وأن النار والعياذ بالله بالمتكبرين الجبارين، وقال لها أنت رحمتي وانت عذابي، أعذب بك من...، ثم في آخره الله لا يظلم أحداً، فأما الجنة وأما النار، وهذا هو الظلم.. هذا هو الظلم تماماً، وأما النار فينشيء لها خلقاً فيدخلهم في النار والعياذ بالله، ما ذنبهم؟، خلق هكذا، قال: كونوا ويدخلهم نار جهنم لأجل أن تمتليء بهم لأنها تقول هل من مزيد؟ هل من مزيد؟ فلا تمتليء حتى يضع الحق قدمه فيها فنقول "قط.. قط.. قط". يعني: كفى. امتلاً كما يقال البئر وقال قطني. "قط قط قط" بمعنى اكتفيت وامتألت. ظلم واضح وصريح.. عدد كبير من العلماء عبر العصور طعنوا في هذه الجملة من هذا الحديث المخرج في الصحيحين. حاشا لله أن

ينشئ خلقاً لم يعملوا عملاً، ثم يدخلهم نار جهنم بلا جريرة. حاشا لله إنما الصحيح أن الجنة لا تمتليء فينشئ لها خلقاً لم يعملوا عملاً ويدخلهم الجنة. هذا من رحمة الله.. هذا الصحيح، لكن وقع خطأ.. هذا خطأ يقع في الصحاح.

حديث غريب جداً جداً آخر، وواضح أن النبي لم يقله، ومحال أن يقوله، وهو حديث أبي هريرة رضوان الله تعالى عليه في الصحيحين.. قال عليه الصلاة وأفضل السلام: "لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم". ما معنى الخنز؟ يخزن أي ينتن ويتفسخ ويفسد، ولولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم.. طبعاً فسر أنهم كانوا يدخرون اللحم.. يدخرون الأغنياء عن الفقراء... وأشياء كذا. لا يعنينا ما السبب وما العلة، ولكن هل فعلاً اللحم كان قبل بني إسرائيل لا يخزن، كان لا ينتن، لا يفسد. هذا كلام غير صحيح لا يقبل به أي عالم في الميكروبيولوجي وهو ضد قوانين الله في الخلق، كما أن الخلق جميعاً والأحياء والنفوس تموت، فهذه الأشياء العضوية تفسد وتخزن من يوم خلقها الله في هذه الأرض، والسبب جراثيمي ميكروبي. لا تقولوا اللحم كان قبل بني إسرائيل لم يكن يفسد لكن بشؤمهم صار يفسد. كلام فارغ، وأفرغ منه ما ينسب إلى رسول الله ولا نقول قال النبي أعوذ بالله، ما ينسب إليه من أنه قال: "ولولا حواء لم تخن زوجة أو امرأة زوجها الدهر"، وقد فسره معظم الشراح بأنها هي التي أغرت أبانا آدم حين وسوس إليها الشيطان وقد دخل في الحية. وسوس إليها فصدمت وهي أغرت زوجها وأخرجتنا وزوجها من الجنة.. هذه أسطورة إسرائيلية توراتية في التوراة في سفر التكوين. ففي سفر التكوين فعلاً أن التي بدأت بإثم وخيبة المخالفة هي أمنا عليها السلام لأن إبليس دخل في حية، والحية أخبت المخلوقات أخذت توسوس لها، بينما القرآن الكريم يقول عكس هذا تماماً. يقول تعالى: "فوسوس إليه الشيطان، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى"، إذن فالوسوسة كانت لآدم وليس لحواء، وفي موضع آخر يقول تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً". لذلك الذي يحتمل الشطر الأكبر من المخالفة هل هي حواء أم آدم؟ -ولنبصر إنصاف القرآن للمرأة- بل هو آدم، وحواء تتحمل أيضاً لأنها تابعت وهي منهية كما هو منهى، لكن من السبب الأكبر؟ إنه آدم، ولذلك "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم"، محمد عليه السلام لا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام "ولولا حواء لم تخن امرأها زوجها الدهر". لا غير صحيح.. هذا كلام توراتي.. كلام إسرائيلي.. محمد لم يقل هذا.

نكتفي بهذا القدر.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

=====

الحمد لله.. الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كنت أود إخواني وأخواتي أن أمثل لكم أيضاً بمجموعة من الأمثلة، وما سقت إلا أقل القليل لأن الأمثلة كثيرة. طبعاً كما سمعتم بالمئات، لكن كنت أود أن أمثل بأمثلة مستمدة من الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد. كل من هؤلاء الأئمة رد جملة من الأحاديث جرى بعد ذلك البخاري ومسلم أو أحدهما على الأقل على تصحيحها وتخريجها في كتاب على أنها أحاديث مردودة، ردها أبو حنيفة، وردها مالك، وردها الشافعي، وردها أحمد قبل أن يردها علماء أتوا بعد أصحاب الصحاح أو الصحيحين. هذا أيضاً موجود وأمثله حاضرة وعتيدة، وقد فعلت هذا مرة أعتقد قبل ربما زهاء سنتين، هذا موجود ولا يزال هذا هو المنهج الذي ينهجه وينهج فيه العلماء، المهيع الذي يسيرون فيه، لكن معقد الأمر أيها الإخوة أن يأتي من أهله، وأن يأتي أيضاً على منهاجه، أن يجري على منهاجه، وأن تحسن فيه النية، ويعظم فيه قصد النصيحة لله ولرسوله ولعلماء المسلمين وعامة المسلمين، وهذا والله إن شاء الله تبارك وتعالى الذي لا إله إلا هو.. هو الذي نبغيه ونسال الله أن يحض نيتنا وأن يخلص قصدنا له على الوجه الذي يرضى به عنا ويرضيه تبارك وتعالى. ليس القصد أن نشكك أنفسنا أو إخواننا وأحبائنا في مرجعياتنا.. لا يفعل هذا عاقل فضلاً عن رجل يرجو الله وقاراً، ولكن نفعله -كما قلت لكم غير مرة كخطة حكيمة، وخطة ذكية لتحسين المرجعية فننزل كل شيء منزله. القرآن شيء والأحاديث شيء. انتبهوا، ولا يمكن أن نعالج بينهما، والمعادلة بينهما خطيرة جداً، يعني كما رأيت قبل قليل. القرآن ليس فيه أن طول آدم ثلاثون متراً. لو فيه لأشكل علينا جداً ماذا نفعل؟ ضد العلم تماماً. القرآن ليس فيه أن الشمس تدور وتأتي كل ليلة تبيت تحت العرش ساجدة. كلام غير صحيح أبداً. لكن هذا في الحديث المخرج في الصحيحين، فلذلك لا بد أن نكون واضحين. هذه الأحاديث إن وقع لنا شيء منها ولا جواب صحيح عنه رددناه، وكما قلت لكم احفظوا هذا. لا نرد بردها شيئاً من أركان ولا عمدة الإسلام والأصول والأخلاق ومعادها، وإنما نرد أخباراً -جملة أخبار- واضح أنها لم تصح عن رسول الله عليه الصلاة وأفضل السلام.

قد أحصي على الإمام أبي حنيفة قدس الله سره الكريم مثلاً حديث ردها يقال رواها العدول لأن طريفته كما قال ابن عبد البر في الانتقاء أنه كان يعرض الأحاديث على ما اجتمع لديه من الحديث. بما يعني أنه إذا وجدت أحاديث مستفيضة، أحاديث مشهورة أو متواترة معنوياً، ولكن يوجد حديث آحاد يخالفها يرده ويسميه شاذاً، ويعرض الأحاديث على كتاب الله فإذا عارض كتاب الله من غير احتمال لأي تأويل رده وسماه شاذاً، ولذلك قال في "العالم والمتعلم" الذي ينسب إليه قال: "نحن لا نرد على رسول

الله خيراً -أعوذ بالله.. لا يوجد عالم يفعل هذا حتى يتهم أبو حنيفة بهذا، وقد اتهم بهذا- وإنما نرد الباطل الذي نُسب إليه". قال أبو حنيفة "هذا باطل وانتم صدقتم أن النبي قاله، وأنا أقطع أن النبي ما قاله، وأنا أراه باطلاً فلذلك أردته"، وهم اتهموه أنه يرد على رسول الله. هذه مشاغبة ومضايقه، وسبيل العلم مناصحة لا مشاغبة ولا مضايقه.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وفقهاً ورشداً. اهدنا واهد بنا، وأصلحنا وأصلح بنا، واجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر برحمتك يا أرحم الراحمين. ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات بفضلك ورحمتك إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين وأعل بفضلك كلمتي الحق والدين. اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن برحمتك يا أرحم الراحمين. عباد الله.. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون.